- ٢ -

لمحات تاريخيّة من حياة ابن تيمية

بقلم الطالب : صالح بن سعيد بن هلابى

لا بد للدارس لحياة ابن تيمية من معرفة الاحوال الفكرية والاجتماعية والسياسية في عصره حتى يأخذ وينظر من خلال تلك الحالة الى حياة ذلك الامام العظيم ، فقد كان عصره وهو القرن السابع والثامن الهجرى يموج موجا بالافكار الدخيلة على الامة الاسلامية حيث تشعبت الافكار واختلفت الاراء فى كثير من المسائل الشرعية وخاصة مسائل العقيدة التى يبنى عليها اساس كل شيء ،

فقد عاصر ابن تيميه فرقا كثيرة من الفرق الاسلامية التى شطحت وابتعدت عن الحق ونابذت أهل الحق فى كثير من المسائل الاصولية ٠

وأكثرها امتدت جذورها الى ديانات أخرى من نصرانية ويهودية ووثنية جاء الاسلام على انقاذها أو ابطالها من اساسها فمن شيعة امامية على اختلاف مشاربها وتباعد ديارها، ومن رافضة غلاة اتباع عبد الله بن سبأ اليهودى ومن معتزلة فلسفية حكمت العقل وحده ، ومن جبرية مستسلمة يقولون ان الانسان لا ارادة له وأنه كريشة فى مهب الرياح تصرفه كيف شاء ٠٠

ومن منتسبة للاشعرى آمنت ببعض الصفات وانكرت بعضها أو أولتها ونصبت نفسها الفرقة الوحيدة التى تمثل أهل السنة والجماعة ٠

كل هذه الافكار والفرق عاش ابن تيمية كل حياته فى خضمها يجاهد بقلمه ولسانه ويدافع عن جوهر العقيدة الاسلامية دفاع المستميت المتفانى فى سبيلها ، فقد كتب عن الشيعة والروافض كتابا ضخما عظيما فى أربع مجلدات سماه «منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة القدرية» وهو رد على كتاب « منهاج الكرامة » لمؤلفه ابن المطهر الحلى الشيعى المتوفى سنة ٧٢٦ هـ وقد كتب ابن المطهر كتابه هذا بصفة خاصة الى الملك

Made With Pdf Office

« الجايتو خدابنده » وهو أحد ملوك الايلخانية ومن أحفاد الملك « جنكير خان » يدعوه فيه الى مذهب الشيعة الامامية ٠

وقد تناول ابن تيمية فيه أصول مذهبهم وتصدى للتفصيل والبسط فيه بعقلية جبارة مؤمنة يعرف كيف يضع النقاط على الحروف ويضرب على المحز من حيث لايشعرون فرد مذهبهم الى جذوره الاصيلة التى يبنون عليها فقد كان بحق نقض كلامهم وتهافتهم فى كل باب يفتحونه على أنفسهم ولا يستطيعون اغلاقه ٠٠٠

ابن تيمية والصوفية الفلسفية :

تطورت فكرة التصوف والصوفية فى عهد بن تيمية الى أفكار خبيثة تهدم الاسلام هدما صريحا وتقيم وثنية فلسفية باسم الزهد والولاية والكرامة فقد تحول مفهوم التصوف الدال على الصفاء وتزكية النفس ـ وان كان أصل الاسم من اساسه خطأ تحول هذا المفهوم الى مفهوم آخر هو القول بوحدة الوجود أو بمعنى آخر حلول الله فى بعض مخلوقاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وقد تزعم هذا القول وأعلنه فى كتبه العديدة ومن أشهرها كتاباه الفتوحات المكية وفصوص الحكم ذلك الملحد الخبيث أبو بكر محى الدين ابن عربى الطائى الاندلسى ومن أقواله الكافرة :

الرب حق والعبد حق
يا ليت شعرى من المكلف ؟؟
ان قلت عبد فذاك رب
أو قلت رب أنى يكلف ؟؟

فسر هذا الكلام عند اتباعه الذين يتبعونه وهم لا يدركون حقيقته بان فيه رموزا واشارات لا يدركها أهل الشرع ، وانما هى للخواص وخواص الخواص ، وأصبح له اتباع فى ذلك العصر وهم لا يدركون حقيقة هذا الكفر ، ثم جاء من بعده ابن الفارض يفلسف مذهب الحلول على رأيه ويدعى الالوهية فى بعض الاحيان ٠

ومن أقواله الكافرة :

لها صلواتى فى المقام أقيمها
وأشهد فيها أنها لى صلت
كلانا مصل واحد ناظر الى
حقيقته بالجمع فى كل سجدة
وما كان لى صلى سواى ولم تكن
صلاتى لغيرى فى اداء كل ركعة

رأى ابن تيمية هذا الكفر البواح ودعوى الالوهية والتفكير الفلسفى الوثنى الذى ما كان يخطر ببال أحد من المشركين الوثنيين الجاهليين فى الجاهلية الاولى بل كانوا مع عبادتهم

Made With Pdf Office

لغير الله تعالى يؤمنون بأن الله رب السموات والارض وأنه هو الرازق الخالق فهذا زهير بن ابى سلمى الشاعر الجاهلى يقول :

فلا تكتمن الله مافى نفوسكم
ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر
ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وهو القائل :

وأعلم علم اليوم والامس قبله
ولكننى عن علم مافى غد عم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطى يعمر فيهرم

فأين هذا القول من قول ابن عربي وابن الفارض وغيره من الملاحدة فى ذلك العصر . رأى ابن تيمية هذا الانحطاط فى الفكر حيث أخذ يسرى فى الامة وأصبح يشار الى هؤلاء بالبنان تارة باسم التصوف والزهد وتارة باسم الكرامة والولاية فثار ثورته وانقض عليهم كالاسد يرد على أقوالهم الباطلة وأخذ يردها الى أصولها الوثنية القديمة ويشهرها فى الناس حتى يكونوا على بينة من أمرهم والواقع لم يكن ابن تيمية وحده الذى كفر ابن عربى وغيره من هؤلاء بل هناك من كبار العلماء من أهل السنة وغيرهم من كفر ابن عربى وألقوا فيه الرسائل العديدة أو ذكروه فى تراجم كتبهم مثل الحافظ ابن حجر العسقلانى فى لسان الميزان وابى حيان المفسر فى تفسيريه « البحر والنهر » وقال شيخ الاسلام ابن دقيق العين « لى أربعون سنة ما تكلمت كلمة الا وأعددت لها جوابا بين يدى الله تعالى وقد سألت شيخنا سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام عن ابن عربى فقال « شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا » وقد بالغ ابن المقرى فحكم بكفر من شك فى كفر طائفة ابن عربى » فهؤلاء أئمة الصوفية الحلولية وجد ابن تيمية أقوالهم منتشرة فى العامة والخاصة الا من عصم الله وقليل ما هم .

مناظراته ودفاعه عن العقيدة :

اشتهر أمر ابن تيمية وذاع صيته فى العامة والخاصة وأصبح يشار اليه بالبنان وتعقد له المناظرات فلا يستطيع أحد أن يقف أمامه أو يناظره الا أفحمه وقطع لسانه ومن هنا دب الحسد والحقد الى قلوب مخالفيه وأعدائه وفى هذه الفترة بالذات وفى سنة ٦٩٨ هـ يأتيه سؤال فى العقيدة من حماة فى مسألة صفات الله عز وجل فأجاب السائل فى عدة كراريس وهى المعروفة اليوم بالرسالة «الحموية» جاء فى أولها « قولنا فى الصفات ما

Made With Pdf Office

قال الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم .. الى أن قال ثم كيف يكون خير قرون الامة انقص فى العلم والحكمة لا سيما العلم بالله وأحكام اسمائه وصفاته من هؤلاء الاصاغر أم كيف يكون أفراخ المتغلغة واتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصائبين واشكالهم وأشباههم أعلم بالله من ورثة الانبياء وأهل القرآن والايمان؟؟ وقد شنع عليهم فى هذه الرسالة أعظم تشنيع وبين سقطاتهم وتهالكهم فى هذا الباب فحين انتشرت هذه الفتوى بين العامة والخاصة ومضى عليهم زمن طويل لم يسمعوا هذا الكلام قام عليه الحساد ، ومن أهل الطوائف ، ومن جعل علم الكلام والفلسفة يفضل كلام الله ورسوله فى الاستدلال ورموه بما هو منه برىء كبراءة الذئب من دم يوسف ولكن الذى يلفت النظر أن أحدا منهم لم يستطع أن يرد عليه أو يناظره انما شكوه الى القاضى جلال الدين الحنفى وهو أشعرى المذهب أو ماتريدى وأرسل القاضى فى طلب الشيخ ابن تيمية فلم يحضر انما رد عليه فى رسالة قائلا « ان العقائد أمرها ليست اليك وان السلطان انما ولاك لتحكم بين الناس وان انكار المنكرات ليس مما يختص به القاضى وحده » وفى يوم الجمعة اجتمع القاضى وبعض فقهاء المذاهب بالشيخ وناقشوه فى عقيدته وحصلت لهم مناظرة أمام الناس فأجابهم بكل شجاعة وبسالة ولم يستطع أحد أن ينال منه فى هذه المرة .

وفى سنة ٧٠٥ هـ فى شهر رجب قامت محنة أخرى على هذا الامام الجليل من قبل الطوائف المعادية وبعض الفقهاء وذلك بسبب انتشار فتوى فى العقيدة على أثر سؤال جاءه من أرض واسط وبين فيها مذهب السلف فى الصفات ورد على المتكلمين والمؤولين والمحرفين والمشبهين فقامت قومتهم واشتكوه فى هذه المرة الى السلطان والى قصر السلطان جاء شنكير وأحضر الامير نائب السلطان بالشام الفقهاء والعلماء وأحضر الشيخ ابن تيمية الى مجلس نائب السلطان على أن يعقد لهم مناظرة ويسأله عن اعتقاده وحين بدأ الشيخ يجيب ويدافع عن عقيدة الحق ويشرح الذى دفعه الى كتابتها كان يقاطع أثناء كلامه لئلا يتمكن من ايضاحها

Made With Pdf Office

للحاضرين وهو يقول لنائب السلطان « لو أن يهوديا طلب من السلطان الانصاف لوجب عليه أن ينصفه وأنا قد أعفوا عن حقي وقد لا أعفوا بل قد أطلب الانصاف منه وان يحضر هؤلاء الذين يكذبون علي ليحاكموا على افترائهم ... الخ ما قاله رضى الله عنه ولولا ضيق المجال لسقنا المناظرة بكاملها

وفى نفس السنة ثارت ثورة طائفة تسمى بالاحمدية ثارت على الشيخ ابن تيمية وحضر جماعة منهم يشتكون الشيخ الى نائب السلطان وان يكف عنهم ويتركهم وشأنهم وما هم عليه وخلاصة أعمالهم انهم يستعملون السحر ويتعاطون بعض الاشياء الشيطانية ويدخلون النار أمام الناس بزعمهم أن هذه الاعمال ولاية أكرمهم الله بها ، فانبرى لهم ابن تيمية فى المجلس وقال « ان هذه أحوال شيطانية باطلة وأكثر أحوالكم من باب الحيل والبهتان ومن أرادمنكم أن يدخل النار فليدخل أولا الى الحمام ويغسل جسده غسلا جيدا ثم يدلكه بالخل والاشناق ثم يدخل بعد ذلك الى النار ان كان صادقا ولو فرض أن أحدا من أهل البدع دخل النار بعد أ يغتسل فان ذلك لا يدل على صلاحه ولا على كرامته بل هى حالة من أحوال الدجاجلة المخالفين للشريعة » .

فقال شيخ منهم « نحن أحوالنا انما تنفق عند التتر ليست تتفق عند الشرع » قال ابن كثير فضبط الحاضرون عليهم تلك الكلمة وكثر الانكار عليهم من كل أحد وألف ابن تيمية بعد هذا المجلس فيهم كتابا سماه شيوخ الاحمدية أو طريقة الاحمدية بين فيه مذاهبهم ومن أين أخذوا هذا السحر وأظهر حكم الاسلام فيهم وفى أمثالهم من المشعوذين ، ولقد عاصر ابن تيمية هذه الفرق وأعطى كل قسم حقه ولم يدخر وسعا فى كشف حقائقهم وأباطيلهم ولم يعرف عنه التوانى أو المداهنة أو المراوغة بل كان سيفا مسلولا على هذه الفرق الضالة التى أفسدت عقيدة الامة الاسلامية وكادت أن تذهب بها أدراج الرياح ..

Made With Pdf Office